المقتطف

الجزء الرابع من السنة الحادية عشرة

١ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٧ = الموافق ٥ ربيع ثاني سنة ١٣٠٤

تعدُّد العقل

وبلوغ اسلوب جديد للعلاج

لا نظن ان مرادنا بتعدُّد العقل (او بتعدُّد الوجدان عند التخصيص) يتضح للقراء ما لم يطالعوا الحوادث التالية التي سنوردها منقولة عن ثقات الكتّاب وكبار العلماء ولذلك تركنا التحديد والتعريف اعتمادًا على الشرح التالي

ذكر الدكتور برون سيكار الفرنسوي انهُ رأى ولدًا ذا حياتين منفصلتين ووجدانين مستقلين وذلك انهُ يعرض لهُ عارض كل يوم فيطرق رأسهُ وينقطع عن الكلام والحركة كانهُ وقع في سبات عميق . ويبقى على ذلك دقيقتين من الزمان ثم يفتح عينيهِ وينهض بغتة وينظر الى الذين حولهُ فلا يعرف احدًا منهم ولو كان من اقاربهِ ما لم يكن قد رآهُ وتعرَّف بهِ في نوبة عرض لهُ فيها ذلك العارض . قال ورأيتهُ مرةً حينما اصابتهُ نوبة من هذه النوب فلما فتح عينيهِ لم يعرفني مع انهُ كان يعرفني جيدًا وكان قد رآني مرارًا وهو في حالتهِ الطبيعية فسأل امهُ عني وتعرَّف بي كاني شخص غريب عنهُ . ثم رأيتهُ مرةً أُخرى اصابتهُ فيها نوبة مثل هذه فعرفني وتكلَّم معي في الموضوع الذي تكلَّم معي فيهِ في النوبة الاولى . ولدى الفحص المدقق ثبت لي ان لهذا الولد حياتين احداهما مستقلة عن الأُخرى . ومدة الحياة غير العادية قصيرة متغيرة من ساعة واحدة الى ثلاث ساعات وفي نهايتها ينام ثم يستيقظ ويعود الى الحالة العاديَّة

وذكر الاستاذ هكسلي الانكليزي نقلاً عن الدكتور مسنت ان جاويشًا من الجيش الفرنسوي

عمرهُ ٢٧ سنة اصابتهُ كرة مدفع في راسهِ فكسرت العظم الجداري الايسر فانفلجت يدهُ اليمنى ثم انفلجت ساقهُ اليمنى وعمَّ الفالج شطرهُ الايمن كلهُ بعد ثلاثة اسابيع . وبعد نحو اربعة اشهر اصابتهُ نوب شديدة كانت تلمّ بهِ كل عشرين او ثلاثين يوماً وتدوم النوبة منها من خمس عشرة ساعة الى ثلاثين ساعة فيصيبهُ في ابتدائها صُداع شديد حتى يشعر كانَّ رأسهُ مطوق بطوق من الحديد . ثم يزول الصداع رويدًا رويدًا وتنفتح عيناهُ وتتحرك مقلتاهُ وتنتشر حدقتاهُ . فان كان واقفًا في مكان يعلمهُ مشى فيهِ على جاري عادتهِ والاَّ تلمَّس كالاعمى واذا قادهُ انسان من جهة الى أُخرى انقاد اليهِ مطيعًا كالاعمى . وهو يأكل ويشرب ويدخّن وينام ويقوم كانهُ صحيح ولكنهُ لا يشعر بالألم ولو وُخز بالابر ولا بالروائح مهما كانت خبيثة ولا بالطعوم مهما كانت كريهة . فياكل الحلتيت كانهُ الخبز ويشرب الكينا والخمر كانهما الماء بل ياكل ويشرب كل ما يقدَّم لهُ . وكانهُ فقد كل حواسهِ الاَّ حاسة اللمس فانها كانت فيهِ اشد منها وهو في حالتهِ الطبيعية . وكان في حالتهِ الطبيعيَّة امينًا الى الغاية القصوى فصار لصًّا محتالاً يسرق كل شيء ويخبئهُ ولو كان من امتعتهِ . وجلس مرةً وهو في هذه الحالة امام مائدةٍ واخذ قلمًا وقرطاسًا وكتبَ كتابًا الى رئيسهِ يطلب منهُ ان يعطيهُ نيشانًا جزاء لشجاعتهِ وحسن سلوكهِ . وكان الدكتور مسلت واقفًا امامهُ فوضع حاجزًا بين عينيهِ والقرطاس فاستمرَّ على الكتابة قليلاً ثم صارت كتابتهُ غير مقروءة فابطل الكتابة ولكن لم يظهر عليهِ شيء من الكدر . ثم ازال الدكتور الحاجز فعاد الى الكتابة فابدل لهُ الحبر بالماء فاستمرَّ على الكتابة مدَّةً ثم نظر الى القلم ومسحهُ بثيابهِ وحاول الكتابة مرةً أُخرى

وفي نوبة أُخرى حاول الكتابة فوضعوا امامهُ رصيفًا من الورق فكان كلما كتب قليلاً على ورقة منهُ ينزعونها من امامهِ فيستمر على الكتابة على الورقة التي تحتها كانهُ لم يُنزع شيء من امامهِ ولما كتب امضاءهُ على الورقة الاخيرة اعاد نظرهُ عليها وليس عليها الاَّ الامضاء وجعل يصلح الاغلاط التي وقعت منهُ في الاوراق المحسوبة ويضع الاصلاح على هذه الورقة البيضاء في المكان الذي وقعت فيهِ تلك الاغلاط في الاوراق المحسوبة بحيث لو جُمعت الاسطر التي فيها على التوالي لكان منها مكتوب منقَّح مصحح . ولما تمَّ كتابة هذا المكتوب قام ونزل الى البستان ولف سيكارةً واشعلها وشربها ثم مدَّ يدهُ الى جيبهِ ليخرج كيس الدخان ويصنع سيكارةً اخرى فلم يجدهُ لان واحدًا بجانبهِ اخذهُ منهُ عمدًا . ثم عاد هذا فوضع الكيس امام عينهِ فلم يرهُ ووضعهُ تجاه انفهِ فلم يشمهُ فوضعهُ في يدهِ فشعر بهِ وقبض عليهِ وصنع منهُ سيكارة اخرى . وقد ثبت ان هذا الرجل لا يعلم شيئًا وهو في هذه الحالة ممَّا يعلمهُ وهو في الحالة المعتادة ولا يعلم شيئًا وهو في الحالة المعتادة ممَّا يعلمهُ في هذه الحالة فلهُ حياتان مستقلتان ووجدانان مستقلان او هو شخصان في شخص واحد

وذكر غيره ان امرأة فرنسوية وُلدت سنة ١٨٤٣ ولما بلغت من العمر ثلاث عشرة سنة اختلَّت صحتها فجعلت تنفث دمًا ولم يكن بها مرض صدري . ولبثت على ذلك سنة من الزمان ثم اصابها صداع شديد وأُغمي عليها عشر دقائق ثم فتحت عينيها وافاقت ولكنها كانت كمن ولد حديثًا وبقيت كذلك نحو ساعتين ثمَّ عاودها الصداع ولما فارقها عادت الى حالتها الاولى. وكانت هذه النوبة تنتابها كل خمسة ايام او ستة وكانت في حالتها الاولى لا تذكر شيئًا ممَّا يجري لها في الثانية ولا تذكر في الثانية ما يجري لها في الأولى . ثمَّ عرضت لها حالة ثالثة فكانت تصاب بصداع شديد فيخفي رأسها على صدرها وترتجي بداها وتفقد الحركة والشعور حتى اذا وخزها بالابر لم تشكُ المًا وبعد دقيقتين او ثلاث تفيق باسمةً جذلةً لا ألم بها ولا صداع فتضحك وتطرب وتعمل اعمالها بنشاط وتزور صاحباتها وتتذكر ما حدث لها في حالتيها الاوليَين . وسنة ١٨٥٨ عرضت لها حالة رابعة مزعجة جدًّا فلم تعُد تعرف احدًا الاَّ زوجها ولكنَّ هذه الحالة لم تطل ولم تتكرَّر الاَّ ثلاثين مرة في ست عشرة سنة

وذكر الدكتور كربنتر الفسيولوجي الشهير ان فتاةً قوية البنية جيدة الصحة نُجِّيت من الغرق فأُغمي عليها ولبثت ست ساعات فاقدة الشعور. وبعد عشرة ايام اصابتها نوبة اغماء بقيت فيها اربع ساعات ولما افاقت وفتحت عينيها لم تعرف احدًا من الذين حولها ولا أُمها وكانت تأكل ما يقدَّم لها من الطعام وتشرب ما يقدَّم لها من الدواء وكانت حركاتها آليَّة محضةً فلم تكن تأكل الطعام ما لم يوضع في فمها . ولكن اذا وضعت الملعقة في يدها وحُرِّكت يدها من الصحفة الى فمها مرارًا متوالية تستمرُّ هي على هذا الفعل من نفسها فتغرف الطعام من الصحفة وتأكله . وتنسى ذلك حالما تنتهي من الاكل فتعلَّمه من جديد كلما اكلت . وكانت تميل الى العمل بيديها فأُعطيت طاقة من الورد فنتفت اوراق الورد كلها وقطعتها قطعًا صغيرة ثمَّ جعلت تصفها على المائدة وتنظم منها ازهارًا بديعة الشكل ولم تكن قد تعلَّمت فن الرسم من قبل . ثم أُعطيت اوراقًا ومقراضًا فجعلت تقص الاوراق قطعًا صغيرة وتضمها بعضها الى بعض كما يضم الافرنج قطع النسج المختلفة الالوان في صناعة الترقيع المعروفة عندهم . فأُعطيت قطعًا من النسج والبرة فجعلت تقطعها قطعًا مناسبة وتخيطها بعضها ببعض وكانت تعمل في ذلك كل يوم من الصباح الى المساء غير مميزة بين يوم وآخر ولا ذاكرةً اليوم ما عملته امس . وتعلمت نسج الصوف بالابرة وكانت توفِّق بين الالوان المختلفة ثم جعلت تخترع الاشكال من نفسها . وكانت تسرُّ جدًّا بصور الازهار والاشجار والحيوانات ولكنها اذا رأت صورة ارض فيها ماء مثل نهر جارٍ او بحر مزبد تضطرب اضطرابًا شديدًا وتتشنَّج وتغمى عليها . وكانت قبل ذلك تحبُّ شابًّا فلم تعد تصبر على فراقه فكان اذا غاب

عنها تقلق قلقًا شديدًا واذا اكثر التردد عليها تحسَّن صحتها وتقوى مداركها. وفي كل هذه المدة لم تنطق بكلمة

وفي احد الايام رأت امها مضطربة فنظرت اليها وقالت لها "مالك" وهذه اول كلمة نطقت بها بعد غرقها ومن ثمَّ جعلت تنطق ببعض الالفاظ وتسمّي بعض الازهار البرّيّة باسمائها. ثم لحظت ان حبيبها صار يحب فتاة أخرى فاضطرمت في فؤادها نار الغيرة واصابتها نوبة اغماء مثل النوبة التي اصابتها لما وقعت في الماء. فلمَّا افاقت من هذه النوبة رجعت الى حالتها الطبيعيَّة وجعلت تتكلم وتكتب كما كانت قبل ان وقعت في الماء ولكنها صارت طرشاء لا تسمع. ثم صارت تفهم كلام أمها من حركات شفتيها و بعد قليل رجع سمعها اليها وظهر انها لم تعلم شيئًا من انقلاب حبيبها عنها. ولما أُخبرت بذلك اظهرت الجلد واخفت الكمد ولم تمضِ ايام كثيرة حتى عادت لها صحتها الجسدية ايضًا

وامثال هذه الحوادث كثيرة جدًّا وقد ذكرنا بعضها في سني المتنطف الماضية[1] ويظهر منها ان الوجدان قد يتعدَّد او يظهر كأنه متعدِّد. وقد يعتري بعض المجانين ما يشوّش وجدانهم فمنهم مَنْ يضيع نفسه ويفتش عن نفسه تحت اللحاف ومنهم مَنْ يحسب نفسه اثنين من اب واحد وامين مختلفتين. ومنهم مَن يظن نفسه اليوم شخصًا وغدًا شخصًا آخر ومنهم من اذا طالت لحيته اعتقد انه من رؤساء الحرب واذا حلقها اعتقد انه من طلبة العلم. ومنهم امرأة كانت تحسب نفسها في يوم ملكة وفي يوم آخر رجلاً من رجال السياسة وامثال ذلك كثيرة ايضًا ولكن شرحها وتبيين اسبابها ليس من غرضنا الآن فلننظر في القسم الثاني من موضوع هذه المقالة وهو الاسلوب الجديد للعلاج فنقول

يوجد الآن بفرنسا رجل كان في صباهُ محمود السيرة والسريرة فلمَّا بلغ الرابعة عشرة من عمره رأى افعى فخاف منها خوفًا شديدًا اختلَّ منهُ عقله واصابه صرع فأُرسل الى بيمارستان بونيفال فاقام فيهِ شهرين فتعلَّم صناعة الخياطة وكان يخيط الثياب. ثمَّ اصابته نوبة فالج وبقي خمسين ساعة في الغيبوبة والتشنُّج ولمَّا افاق من الغيبوبة زال عنهُ الفالج ونسي ما كان يعرفهُ من صناعة الخياطة وانقلبت طباعهُ من الحشمة والادب الى الوقاحة والسفاهة وتنسى كل ما حدث لهُ بعد رؤيتهِ للافعى وصار شرهًا محبًّا للخصام يسرق الخمر لكي يسكر بها مع انهُ كان قبل ان رأى الافعى من الذين حرَّموا السكر على انفسهم. ثمَّ هرب من هذا البيمارستان ومرَّ عليهِ بضع سنين قضى بعضها في المستشفيات والبيمارستانات و بعضها في احدى السجون الحربية ثم اتى بو الى

(١) انظر الصحيفة ١٩١ من مجلد السنة الاولى و٢١٣ من مجلد السنة العاشرة

بيارسمان روشفور فوقف عليهِ ثلاثة من مهرة الاطباء وامتحنوا فيهِ بعض الامتحانات العلميَّة

ولما اجرى فيهِ الاطباء امتحاناتهم كان مصابًا بنالج الشطر الايمن وكان مهذارًا يتكلَّم مع كل احد كلامًا غير واضح ويسبُّ الاطباء ولا يأتمر بامرهم ويدَّعي الكبر ويذهب مذهب المتطرفين في الحرِّيَّة ولا يتذكَّر الاَّ الحوادث التي جرت لهُ وهو في بيارسمان بونيفاسيو .وامتحن الاطباء تأثير المعادن فيهِ لان الطب بالمعادن قد شاع حديثًا في فرنسا فوجدوا ان النولاذ اذا وُضع على ذراعهِ اليمنى يثقل عدم الشعور منها الى الجانب الايسر من جسمهِ فلم يتعجبوا من ذلك لانهم معتادون على معالجة المصابات بالهستيريا بواسطة المعادن ولكنَّ الذي عجبوا منهُ هو انهُ لمَّا رُفع المعدن عنهُ تغيَّرت اطوارهُ كلَّ التغيُّر فلم يعُد قلقًا كما كان قبلاً ولا وقحًا ولا سفيهًا وصار يتانَّى في كلامهِ ولا يتكلم الاَّ اذا كُلِّم .واذا سُئل عن رأيهِ في الديانة والسياسة قال سلوا مَنْ هم اعرف مني بذلك .فكأنَّهُ شفي عقلاً ونفسًا .واذا سألتهُ عن روشفور المكان الذي كان فيهِ حينئذٍ وعن المحرية الذين كان معهم اجابك انهُ لا يعرف روشفور ولا انتظم في سلك الجنود البحريَّة .وان قلت لهُ اين انت الآن قال لك انا في بيسَّر وهذا هو الثاني من جنيه (ك ٢) سنة ١٨٨٢ .ولم يعد يتذكَّر الاَّ الحالة التي كان فيها حينما كان فالجًا على الجانب الايسر

وقد تقلَّبت على هذا الرجل ست حالات احداها وهي الحالة الخامسة اذا وضع مغنطيس على رأسهِ فيها او اوصل بهِ مجرًى كهربائيٌّ زال منهُ الفالج تمامًا وعاد شعورهُ الى حالتهِ الطبيعية وصار سريع الحركة بشوش الوجه واذا سألتهُ حينئذٍ اين انت تجد انهُ عاد الى ما كان عليهِ وهو ابن اربع عشرة سنة وتذكَّر كل ما حدث لهُ في صباهُ الى ان رأى الافعى .واذا لُجِجتَ عليهِ ان يتذكَّر الافعى تنتابهُ نوبة صرع وتزول الحالة التي هو فيها

والخلاصة ان هذا الرجل يظهر احيانًا بظاهر المجنون والتوحُّش واحيانًا بمظاهر التعقُّل والاحتشام واحيانًا يعود في افكارهِ ولغاتهِ الى الحالة التي كان فيها وهو فتًى . وقد ذهب الاطباء الذين عالجوهُ الى ان الخوف الشديد الذي باغتهُ لمَّا رأى الافعى فصل بين وظائف قسمي المخ الايمن والايسر فصلاً تامًّا فكان اذا توقف فعل القسم الايسر من مخهِ يصير اعسر وتنحط قواهُ العقلية والادبية الى الحالة الوحشيَّة ولا يعود يتذكر الاَّ ما حدث لهُ في تلك الحالة .واذا توقف فعل القسم الايمن من مخهِ يستقيم فعل قواهُ العليا كقوة النطق ويصير قادرًا على ضبط نفسهِ عارفًا بالواجب عليهِ اي انهُ تظهر فيهِ القوى التي بلغها الانسان بعد ارتقائهِ ولكنهُ يكون مفلوجًا من شطرهِ الايسر وتقتصر ذاكرتهُ على ما عرفهُ لمَّا كان في تلك الحالة اي انهُ ينسى كل ما عرفهُ وهي مصابة بنالج الشطر الايمن وكل ما عرفهُ قبلما رأى الافعى .ثم اذا ردت المؤارنة التي زالت من مخهِ

عندما رأى الافعى يعود الى حالته الطبيعيّة

وقد شبّه ميَرْس الدماغ بمعمل من معامل النسج فيه الوف من الانوال وهي تتحرك على ضروب شتّى ولها آلة واحدة لتحريكها . ولم توضع هذه الانوال في الدماغ باختيار انسان واحد ولا رُكّبت على هذا الاسلوب بارادة صاحبها بل هي ميراث ورثه من اسلافه واسلاف اسلافه . وكانت في اول امرها مغزلاً بسيطاً ثم جعل كل واحد من الاسلاف يزيدها آلة فاذا وافقت المعمل ثبتت في مكانها واستمرّ عملها والاّ نزعت واُهملت . وقد زادت هذه الانوال وتغيرت صورها على تمادي السنين وكان اشدّ تغيرها في العصر الحاضر . والآن نرى الانسان يحاول ان ينسج الادراك والتصوّر بانوال موضوعة لنسج التجوم والدفاع فلا تطاوعهُ بسهولة ولا يتحرك واحد منها الحركة الجديدة المناسبة حتى تتحرك انوال اُخرى حركات غير مناسبة . وقد يعرض لهذه ما يمسكها عن حركاتها ويعرض لها ايضاً ما يحركها بعد سكونها . ونحن لا نعلم ما هي القوّة التي تحرك كل هذه الآلات بعد سكونها او تغير منهج حركاتها ولكننا نعلم ان بعض المواد الطبيّة يفعل هذا الفعل كالالكحول والافيون ونحو ذلك من المنبهات والمخدرات

والآن قد ادّعى بعضهم ان التنويم (المسمرزم او الهبنوتزم) هو من جملة الوسائط لرد آلات الدماغ المختلّة الى حركاتها الصحيحة وذكر ميرس شاهداً لذلك في عدد حديث من جريدة القرن التاسع عشر قال ان فتاةً مجنونة كانت عائشة في السرقة والفجور والسفاهة فحاول احد الاطباء ان يسمرها (ينوّمها بالمسمرزم) فكانت تبصق في وجهه وتحول عينيها عنه ولكنه امسكها بالقوة ووضع وجهه تجاه وجهها ملاصقةً وكان يجول نظرهُ مع نظرها كيفما حولته فلم يمضِ عليها ربع ساعة حتى نامت نوماً قلقاً . ثمّ نوّمها بعد ذلك مراراً عديدة فصارت تهدأ قليلاً وتعمل في اليقظة بعض الاعمال التي تؤمَر بعملها وهي نائمة ثم صارت تعترف بخطاياها وهي نائمة وتندم عليها وتعِدُ بعدم الرجوع الى مثلها . وكتب طبيبها الى ميرس في الحادي والثلاثين من تموز (يوليو) سنة ١٨٨٦ يقول انها الآن في احد مستشفيات باريز تمرّض المرضى وقد استقامت سيرتها وسريرتها وشفيت عقلاً ونفساً

وعلى فهذه الفتاة التي عاشت في الفجور منذ ما بلغت الثالثة عشرة من عمرها قد تغيرت اطوارها تغيّراً تاماً فصارت عفيفة رزينة قادرة على تمريض المرضى وكل ذلك بواسطة رد الموازنة الى عقلها وهي نائمة النوم الصناعي . والظاهر ان بعض الاطباء الفرنسويين قد استعملوا الآن هذه الطريقة لعلاج المجانين في البيمارستانات وان مجمع العلوم الفرنسوي الذي التأم في مدينة نيس هذا الصيف قد اعطى هذا الموضوع حقه من التروّي وعيّن لجنة للبحث فيه فان ثبت ما يدّعيه

اصحابه فقد عاشت آراؤه معمر ولكن على صورة معقولة واسلوب غير الاسلوب الذي وضعها فيه اولاً.

هذا وعسى ان نجد من اطبّائنا من يمحّص التنويم في الذين يراهم من المجانين او من المصابين باختلال في الدماغ ويكرم بنتائج امتحانه لكي ننشرها افادة للعموم. ولا يخفى اننا شرحنا كيفيّة التنويم في المجلد التاسع من المقتطف في مقالة موضوعها المسمرزم وشفاء الامراض فلتراجع فيها

تقرير كمبرلند عن قراءة الافكار

لا يخفى انه جاء عاصمة مصر في السنة الغابرة رجل ذاع صيته في الاقطار واشغلت اعماله صحف الاخبار وهو المستر كمبرلند المشهور "بقراءة الافكار"[1]. فان هذا الرجل طاف المسكونة وقابل الملوك والعظماء وامتحن قوته فيهم فاظهر الغرائب وابدع العجائب. وها نحن موردون خلاصة تقريره الاخير الذي نشرهُ في جريدة القرن التاسع عشر

قال: كنتُ في صباي موصوفًا بالذكاء والرزانة ولكن لم تظهر استطاعتي على معرفة ضمائر الناس الاّ منذ ست سنوات وذلك انني كنت في بيت الدكتور بكرستث اللاهوتي فدار الحديث على المسمرزم (التنويم) فسُئلت عمّا اذا كان ممكنًا للانسان ان يعرف افكار غيره وعن رأيي في ذلك فقلت انهُ ممكن في بعض الاحوال وانا قادر عليه. فقال الدكتور هلمّ فمحّص ذلك ثم اضمر في نفسه شيئًا وقال هات اخبرني بما اضمرتُ فاخذتهُ بيده ومشيتُ امامهُ رويدًا رويدًا ودخلتُ به المكتبة ودرتُ فيها ثم وقفتُ امام تمثال هناك وقلتُ هذا هو الشيء الذي كنتَ مفتكرًا به فكان كما قلت. ومن ثمّ تقوّت عزائمي وتجاسرت على امتحان هذه القوة التي فيّ علانيةً

وكان المظنون اولاً انني لا اقدر ان اكتشف الشيء المضمر ما لم يكن في البيت الذي اكون فيه ولكن حدث مرةً انني كنت اتناول الطعام عند مركيز لورن (صهر ملكة الانكليز) فاضمر في نفسه شيئًا وطلب مني ان اكتشفه. فعصبت عينيّ بعصابة واخذتُ المركيز بيده وخرجت به مسرعًا من القاعة التي كنّا فيها وكنتُ اسير به الى الابواب المقفلة فتُفتح لنا وما زلتُ اسير امامهُ الى ان دخلنا الاسطبل في الدار الخارجيّة وكان مقفلاً فمددت يدي ووضعتها على شيء حي وقلتُ هذا ما اضمرته فقال اصبتَ فنزعتُ العصابة عن عينيّ فاذا انا واضع يدي على غزال لزوجته ابنة ملكة الانكليز

(١) تجد تفصيل بعض ما عمله في مصر في الصفحة ١٣١ من السنة العاشرة للمقتطف